

مركز آسو للدراسات
جميع الحقوق محفوظة
2022

حمزة همكي¹

آثار جائحة كورونا والحرب الأوكرانية على التحويلات المالية إلى شمال وشرق
سوريا
2/2

عانت وتعاني جميع الاقتصادات العالمية من الآثار الضخمة لهاتين الصدمتين الاقتصاديتين التي ترتبت على الأزمة الصحية الكونية لكوفيد 19، و الأزمة الإنسانية التي خلفتها الحرب الروسية الأوكرانية. وقد دمرت معها اقتصادات الدول الفاشلة أو الضعيفة، كأزمة البنوك اللبنانية وما نتج عنها من انهيار تاريخي للعملة اللبنانية. وكذلك انهيار الاقتصاد السيريلانكي وسقوط حكم عائلة راجاباكسا التي حكمت البلاد لأكثر من عقدين.

في سوريا المدمرة أساسا بالحرب الأهلية والإقليمية المستعرة منذ أكثر من عقد. سحقت هذه الأزمات البلد برمته. ففي مواجهة كورونا، اقتصررت الإجراءات الاحترازية على الحجر الصحي المحدود، نظرا لاعتماد الناس في قوتهم على الدخل المباشر من عمليات العمل اليومي. و الاعتماد على القدر والأدعية لحفظ الناس من الجائحة.

أما الحرب الأوكرانية، فقد وصلت المنطقة عبر عدة مؤثرات. منها انسحاب جزء من القوات الروسية إلى أوكرانيا، وبالتالي تركت المجال مفتوحا لتركيا التي تعمل وفقا لقاعدتي استغلال الأزمات وابتزاز اطرافها. فما لبثت أن أعلنت عن نيتها في احتلال أراضٍ سورية أخرى، خصوصا تلك التابعة لسيطرة الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، في منطقتي تل رفعت و منبج. وضاعفت في عملية قصفها بالمسيرات على المناطق المدنية بذريعة استهداف قيادات من قوات سوريا الديمقراطية. الأمر الذي دمر الحد الأدنى من مستويات الاستقرار. وبالتالي شلت تقريبا حركة العمل و تداول رأس المال الشحيح في هذه المناطق.

لذلك، باتت التحويلات المالية التي يرسلها المهاجرون إلى ذويهم، بمثابة الترياق الأخير لإنقاذ الناس من المجاعة العامة في سوريا. بناءً عليه، قمت بإجراء استبيانات ميدانية ومقابلات مع الناس، لمعرفة آرائهم حول هذا الموضوع. وقد أتت الردود على النحو الآتي:

تسعة أشخاص أجابوا بأنها لم تتغير وثمانية أشخاص أجابوا بأنها انخفضت عن سابقتها وحالة واحدة فقط أجابت بأنها ازدادت.

رقم المقابلة	العمل	مستوى الدخل	الغرض من الحوالة	هل تغيرت آخر حوالة عن سابقتها	في حال التغير ما هو السبب - هل تأثر المصدر بأزمة كورونا والحرب الأوكرانية	بلد مصدر الحوالة
1	لا يعمل	ضعيف	تعليمية	لم تتغير	لم يتأثر لأن المصدر يقوم بأعمال خاصة	إقليم كردستان
2	يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية وتعليمية	لم تتغير	تأثروا - فقدوا الوظيفة ولكنهم يرسلون الأموال من الدعم المقدم لهم من قبل الدولة المستضيفة	قبرص - ألمانيا - السويد
3	لا يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية وصحية	لم تتغير	تأثروا ولكن يرسلونها من أموالهم الخاصة	ألمانيا
4	يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية	لم تتغير	تأثروا ولكن يرسلونها من الراتب الذي يحصلون عليه من الدولة المستضيفة	ألمانيا
7	لا يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية	لم تتغير		ألمانيا
12	يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية	لم تتغير		فنلندا
14	يعمل	وسط	صحية	لم تتغير	المصدر تأثر	ألمانيا
17	لا يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية	لم تتغير	لم يتأثر المصدر	ألمانيا
18	لا يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية	لم تتغير	لم يتأثر المصدر	ألمانيا

نلاحظ من خلال الجدول أن جميع الحالات التي لم تتغير فيها قيمة الحوالة عن سابقتها يكون مستوى دخل مستلم الحوالة ضعيفاً (من صفر إلى 75 \$) باستثناء حالة واحدة حيث كان مستوى الدخل متوسطاً (125 \$)، وفي نفس الوقت يكون الغرض من الحوالة تأمين الاحتياجات الأساسية بالدرجة الأولى وفي بعض الحالات يرافقها غرض صحي باستثناء حالتين حيث كان الغرض من إحدى هاتين الحالتين تعليمياً والأخرى صحياً.

كذلك نلاحظ أن النسبة الأكبر ممن يرسلون الأموال قد تأثروا بجائحة كوفيد 19 وتداعيات الحرب الأوكرانية، ورغم تأثرهم بالأزمته فإنهم لم يخفوا من قيمة الحوالات التي يرسلونها، ويعزى ذلك إلى أنهم يتلقون الأموال من الدولة المستضيفة وبدورهم يرسلون جزءاً من هذه الأموال إلى المستفيدين حيث نلاحظ في هذه الحالة أن

مصدر الحوالات كان من الدول الأوروبية وهذه الدول تقدم إعانات لمن هم عاطلون عن العمل.

رقم المقابلة	العمل	مستوى الدخل	الغرض من الحوالة	هل تغيرت آخر حوالة عن سابقتها	في حال التغير ما هو السبب - هل تأثر المصدر بالأزمتهن	بلد مصدر الحوالة
6	يعمل	جيد	صحية	انخفضت	تأثر	ألمانيا
8	لا يعمل	وسط	صحية بنسبة أكبر واحتياجات غذائية	انخفضت	تأثر	ألمانيا
9	يعمل	جيد	صحية	انخفضت	تأثر	ألمانيا
10	لا يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية وصحية	انخفضت	عدم الاستقرار في العمل بسبب أزمة كورونا وانخفاض قيمة الليرة التركية	تركيا
11	لا يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية وصحية	انخفضت	انخفاض الليرة التركية	تركيا
13	لا يعمل	وسط	صحية	انخفضت	تأثر	ألمانيا
15	لا يعمل	ضعيف	احتياجات غذائية	انخفضت	عدم الاستقرار في العمل بسبب أزمة كورونا وانخفاض قيمة الليرة التركية	تركيا
16	يعمل	جيد	صحية	انخفضت	تأثر	ألمانيا

نلاحظ من خلال الجدول أنه عندما يكون مستوى دخل المستفيد من الحوالة ما بين متوسط وجيد فإن قيمة الحوالة المرسلة في ظل أزمة كورونا، وتالياً تداعيات الحرب الأوكرانية، انخفضت ويكون الغرض من هذه الحوالات صحياً بالدرجة الأولى بالرغم من أن مصدر الحوالة هي الدول الأوروبية، بينما نلاحظ في الحالتين 10 و 11 و 15 وعلى الرغم من أن مستوى دخل المستفيد ضعيف وغرض الحوالة احتياجات غذائية بالدرجة الأولى فإن قيمة ما يستلمونه من التحويلات قد انخفضت، حيث نجد في هذه الحالات الثلاث أن مصدر الحوالة كان تركيا، ويعزى هذا الانخفاض إلى عدم الاستقرار في العمل بسبب أزمة كورونا وانخفاض قيمة الليرة التركية من جهة، ومن جهة أخرى لا تقدم الحكومة التركية الدعم المادي للعاطلين عن العمل بخلاف الحال في الدول الأوروبية.

رقم المقابلة	العمل	مستوى الدخل	الغرض من الحوالة	هل تغيرت آخر حوالة عن سابقتها	في حال التغير ما هو السبب - هل تأثر المصدر بالأزمتهن	البلد مصدر الحوالة
5	يعمل	جيد	توزيع على الفقراء	ازدادت	لتعويض ارتفاع أسعار السلع ويشمل عدد أكبر من الفقراء	الدنمارك

وهذه الحالة الوحيدة التي ازدادت فيها الحوالة عن سابقتها حيث كان الغرض منها توزيعها على الفقراء وجاء سبب الزيادة لتعويض ارتفاع أسعار السلع في بلد المستفيد ولتشمل هذه الزيادة عدد أكبر من الفقراء.

طريقة استلام الحوالة

رقم الاستبيان	قرية - مدينة	كيفية استلام الحوالة	عملة استلام الحوالة	أسباب استلام الحوالة بتلك العملة	سبب استلام الحوالة بتلك الوسيلة
1	محافظة الحسكة	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	دولار	أقل تكلفة	أقل تكلفة
2	محافظة الحسكة	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	دولار		خوفاً من توقف الدعم من الدولة المستضيفة - أقل تكلفة
3	كوباني	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	دولار	لأنها العملة التي أرسلت بها	أقل تكلفة
4	محافظة الحسكة	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	دولار	المصدر يرسلها بتلك العملة لأنها أقل تكلفة من اليورو	خوفاً من معرفة الدولة المستضيفة - أقل كلفة
5	محافظة الحسكة	عن طريق معارف شخصية	حسب المبلغ المتوفر لدى هؤلاء المعارف	أجور نقل الأموال مرتفعة مقارنة مع المعارف الشخصية	أقل تكلفة
6	محافظة الحسكة	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	سوري	لأنها أقل تكلفة من الدولار	الوسيلة الوحيدة في الدولة المضيفة
7	محافظة الحسكة	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	يورو	مصدر يحدد	الوسيلة الوحيدة الموجودة في المنطقة
8	محافظة الحسكة	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	يورو	مصدر يحدد	لأنها الوسيلة الوحيدة المتاحة
9	محافظة الحسكة	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	دولار	أقل تكلفة	المصدر يحدد الوسيلة
10	شيخ مقصود	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	سوري	المكاتب تمتنع عن التسليم بالليرة التركية	أقل تكلفة
11	شيخ مقصود	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	سوري	يصرف في تركيا ويحول الى سوريا	أقل تكلفة
12	شيخ مقصود	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	سوري	مكاتب التحويلات تمتنع عن التسليم بالدولار	أقل تكلفة

13	شيخ مقصود	عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	سوري	مكاتب التحويلات تمتنع عن التسليم بالدولار	أقل تكلفة
14	شيخ مقصود	معارف شخصية	سوري	المصدر يحدد	أكثر أماناً
15	شيخ مقصود	معارف شخصية	سوري	المصدر يحدد	أكثر أماناً
16	محافظة الحسكة	شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	دولار	المصدر يحدد	أقل تكلفة
17	شيخ مقصود	شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	سوري وأحياناً دولار	حسب العملة المتوفرة لدى المكتب	الوسيلة الوحيدة
18	كوباني	شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية	دولار	المصدر يحدد	أقل تكلفة

جميع الحالات التي تستلم الحوالات عن طريق شركات مرخصة من قبل الإدارة الذاتية باستثناء ثلاث حالات تستلم المبلغ عن طريق أشخاص معروفين من قبل مصدر الحوالة أي غير مرخصين من أي جهة بممارسة نشاط التحويلات، أما فيما يتعلق بسبب اختيارهم لهذه الطريقة فقد كانت كما يلي:

- لأنها أقل تكلفة (تكررت 11 مرة)، يلجؤون إلى شركات غير مرخصة خوفاً من توقف الدعم من قبل الدولة المستضيفة (تكررت مرتين).
- الطريقة الوحيدة المتاحة (تكررت 4 مرات).
- أكثر أماناً (تكررت مرتين).
- المصدر يحدد الطريقة التي يرسل بها (تكررت مرة واحدة).

ويعزى سبب لجوء هؤلاء إلى الشركات المرخصة من قبل الإدارة الذاتية دون اللجوء إلى شركات مرخصة من قبل حكومة دمشق، إلى التكلفة المنخفضة التي يدفعونها لقاء التحويل، علاوة على إمكانية استلامهم للحوالة بالعملة التي أرسلت بها، وبالتالي إمكانية صرفها وفق سعر الصرف في السوق السوداء.

عملة استلام الحوالة وسبب استلامها بعملة محددة

تراوحت الإجابات ما بين دولار (تكررت 7 مرات)، ويورو (تكررت مرتين)، ليرة سورية (تكررت 8 مرات). أما سبب استلامهم للحوالات بتلك العملة فإن الإجابات

تراوحت بين أن الاستلام بالدولار يقلل التكلفة (تكررت 3 مرات)، والمصدر يرسل بتلك العملة (تكررت مرتين)، والامتناع عن التسليم بتلك العملة من قبل المكتب (تكررت مرتين).

نلاحظ أن الشركات في القامشلي وكوباني، تخير المستفيد بالعملة التي يرغب الاستلام بها، بينما في منطقة شيخ مقصود تمتنع الشركات عن تسليم المبلغ بالعملات الأجنبية، ويعزى ذلك إلى أنه بالرغم من أن منطقة شيخ مقصود تابعة للإدارة الذاتية، حيث بإمكان الأفراد تداول الدولار بحرية، ولكن هناك صعوبة بالغة لإدخال الدولار إلى تلك المنطقة لأنها تقع ضمن مناطق حكومة دمشق، ومع تزايد الطلب على الدولار من قبل المستفيدين، فإن الشركات في هذا الحي تمتنع عن تسليم الحوالات بالعملات الأجنبية بسبب عدم توفرها لديهم.

الصعوبات والتحديات التي تواجه المستفيدين

عشر أشخاص من أصل ثمانية عشر، نفوا وجود صعوبات أو تحديات في استلام حوالاتهم، ويعزى ذلك إلى حرية التعامل بالعملات الأجنبية، إضافة إلى وجود منافسة كبيرة بين شركات الحوالات في مناطق الإدارة الذاتية، ما يجعل عملية استلام الحوالات سهلة من دون عقبات، باستثناء حالتين، حيث كانت إجابة إحداها بأن مركز استلام الحوالة عن طريق المعارف والعلاقات الشخصية غير محدد، حيث يكون تحديد مكان اللقاء عبر الهاتف، أما الحالة الأخرى، فقد ذكرت أن تأخير تسليم الحوالة هي من الصعوبات التي تواجهها، وكان الشخص في منطقة شيخ مقصود، لأن هذه المنطقة صغيرة وتقل فيها المنافسة مما يضطر المستفيد للانتظار إلى حين توفر المبلغ في الشركة.

جميع الحالات ذكرت أن المرأة لا تواجه صعوبات في استلام الحوالات باستثناء حالة واحدة فقط ذكرت أن المرأة قد تتعرض للغبن من قبل شركات الحوالات سواء من خلال فرض أجرة أكبر أو تسليم الحوالة بعملة أخرى وفق سعر صرف أقل من السوق.

ألمانيا من المصادر الرئيسية

حتى نهاية أيار/مايو 2022 بلغ عدد اللاجئين السوريين في ألمانيا 876 ألفاً و585، بمتوسط أعمار لا يتجاوز 20 عاماً، بحسب مكتب الإحصاء الفيدرالي للسكان الأجانب في ألمانيا.

وصل معظمهم إلى ألمانيا بين عامي 2015 و2016 في ذروة موجة اللجوء إلى أوروبا هرباً من الحرب المستمرة منذ عام 2011.

تحاول نسبة كبيرة من هؤلاء إرسال مبالغ شهرية ثابتة لذويهم في الداخل، لكن كيفية تحويل هذه الأموال تشغلهم على الدوام بسبب عدم تمكنهم من إرسالها عبر الطرق الرسمية، ما يضطرهم للبحث عن بدائل في السوق السوداء.

وتتميز هذه العملية بسرية تامة ومحاولات للتخفي عن أنظار السلطات السورية، تفادياً للسجن والعقوبات المفروضة على المتعاملين بتحويل الأموال في السوق السوداء. هذه الخطورة تنتفي في المناطق الخارجة عن سيطرة دمشق مثل شمال غرب البلاد وشمال شرقها.

لكن الخطورة في هذه العملية لا تكمن فيما يمكن أن تجلبه من عقوبات في داخل سوريا فقط، فالسوريون في الخارج معرضون أيضاً للملاحقة القانونية إذا ما ضبطوا وهم يحولون الأموال بهذه الطريقة¹

ويلجأ المهاجرون إلى السوق السوداء لتجنب المسائلة القانونية ونظام الضرائب، خصوصاً ممن يتلقون الإعانات الإجتماعية.

في العموم فإن عملية التحويل بهذه الطريقة ليست سهلة كما يتخيل بعضهم. إذ إن الأمر يتم عبر شبكة كبيرة من الأشخاص، في مختلف بلدان العالم وهناك رأس للمجموعة يتم التواصل والتنظيم بين الجميع من خلاله. كما يتم التواصل عبر تطبيق واتساب حصراً لأنه مشفر وتصبح مراقبته". وعندما تتجمع الأموال في بلد ما، تخرج عن طريق التجار²

وتعاقب السلطات الألمانية أنشطة الحوالة غير القانونية بموجب "قانون مراقبة على خدمات الدفع" (ZAG)، الذي ينص على أنه يحظر تقديم خدمات مماثلة لتلك التي

تقدمها البنوك دون ترخيص مصرفي. وعقوبة القيام بالأنشطة التي تنتهك قانون (ZAG) هي السجن لمدة قد تصل إلى خمس سنوات.

لكن ثمة جانب آخر يتعلق بتمويل الإرهاب، الأمر الذي يثير قلق الحكومات الغربية عموماً. مثل ما جرى في ألمانيا في أكتوبر العام الماضي. إذ نفذت الشرطة الألمانية، مدهامات واسعة النطاق في ثلاث ولايات، طالت شبكة غسل أموال يشتبه بأنها حولت ملايين اليوروهات من المكاسب غير المشروعة إلى جبهة النصرة في سوريا وتركيا³.

واستهدفت العمليات 80 منزلاً في ولايات شمال الراين- وستفاليا وساكسونيا السفلى وبريمن، في مدهامة هي الأكبر منذ سنوات بحسب المحققين. وعدت السلطات الألمانية النشاط جزءاً من تحقيق فيما يسمى بشبكة "الحوالة"، والتي يعمل فيها أفراد لا بنوك كوسطاء لتحويل الأموال.

وحولت الشبكة أكثر من 100 مليون يورو من الأرباح الناتجة عن تهريب المخدرات وغيرها من الأعمال غير القانونية إلى تركيا وسوريا، حيث تم استخدام جزء منها في تمويل الجماعات المسلحة.

وفي أيار/ مايو الفائت بدأت في مدينة دريسدن الألمانية محاكمة شبكة تحويل أموال كبيرة بإدارة لاجئ سوري، يشتبه بأنها حولت ملايين الدولارات بطريقة غير شرعية إلى سوريا وعدد من الدول العربية، فيما يعرف بنظام "الحوالة" أو "تحويل المال بالأسود"⁴.

وقال الادعاء العام في مدينة دريسدن شرقي ألمانيا إن الشاب السوري "رامز. ب" البالغ من العمر 33 عاماً شارك في تحويل الأموال إلى مجهولين خارج البلاد على نطاق واسع، وهو يواجه الآن السجن لعدة سنوات.

ومنذ العام 2018 لغاية 2021، ضح رامز نحو مليونين و137 ألفاً و144 دولاراً أميركياً في الشبكة، من خلال 4750 عملية تحويل بطرق مختلفة، وذلك بفضل توظيفه لعشرات الأشخاص في دمشق⁵.

خاتمة

بحسب هيومن رايتس ووتش، فإنه بحلول 2021، تقلص الناتج الاقتصادي السوري 60%، وانخفضت قيمة العملة الوطنية 99%، يعيش أكثر من 90% من السكان تحت خط الفقر، وفقاً لـ "مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية" (أوتشا). يعاني أكثر من 12.4 مليون سوري - من إجمالي عدد السكان المقدّر بحوالي 16 مليون - من انعدام الأمن الغذائي، وفقاً لـ "برنامج الأغذية العالمي"، وهي زيادة مقلقة بلغت 3.1 مليون في عام واحد. يعاني أكثر من 600 ألف طفل من سوء التغذية المزمن. فاقمت الحكومة السورية من أثر الأزمة الاقتصادية بعدم معالجتها بشكل عادل وكاف نقص الخبز والوقود، وبدلاً من ذلك سمحت بالتوزيع التمييزي وغير العادل.⁶

أمام هذا الواقع لا تملك نسبة كبيرة من السوريين في الداخل إلا الاعتماد بشكل كلي أو جزئي على المساعدات النقدية التي يرسلها لهم ذوهم في المهجر، لكن مع تأثيرات الأزمات الدولية باتت شرائح واسعة من المهاجرين يتبعون سياسات تقشف فردية بهدف توفير جزء من دخلهم لإرساله إلى عائلاتهم في الداخل. غير أن هذه التحويلات المالية قد تقلصت كثيراً بسبب الأزمتهن الأفتنهن، وفاقمت محنة الناس في سوريا، الذين يلجأون إلى شتى أساليب التقشف، وابتكرون بدائل للمواد الغذائية وتقليل عدد الوجبات. بينما لا يمكن العثور على حل للبرد سوى التحمل حتى اليأس.

المراجع

- 1 كيف تتغلب تحويلات السوريين على العقوبات الدولية والقبود المحلية لتصل إلى عائلاتهم؟ - BBC News عربي
- 2 المصدر السابق
- 3 ألمانيا: ضبط شبكة غسل أموال حولت الملايين لتركيا وسوريا (alarabiya.net)
- 4 ألمانيا تحاكم سورياً لعمله في الحوالات المالية (syria.tv)
- 5 المصدر السابق
- 6 <https://www.hrw.org/ar/world-report/2022/country-chapters/380768#b972c4>